

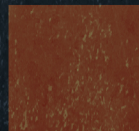
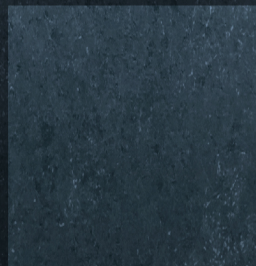
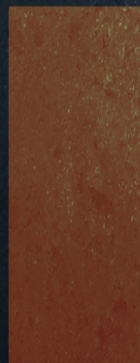


مركز القدس

دراسة

الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939
ودور الشيخ عز الدين القسام في إشعالها
(القساميون وثورة ال 36)

كمال الجعبري
باحث فلسطيني



دراسة

الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939 ودور الشيخ عز الدين القسام في إشعالها

(القساميون وثورة الـ 36)

إعداد:

كمال جهاد الجعبري¹

مركز القدس للدراسات

¹. باحث فلسطيني

المقدمة

شهدت الفترة الواقعة بين عامي 1917 و1948، أيّ فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين، العديد من الثورات والهبات الفلسطينية، منها ما كان عابراً استمر لعدة أيّام، ومنها ما استمرّ لسنين عدّة، ومنها ما أخذ شكل الانتفاضات الشعبية والمظاهرات السلمية، ومنها ما أخذ طابعاً عسكرياً، ومنها ما جمع بين هذين الأمرين. من بين تلك الثورات: الثورة الفلسطينية الكبرى التي وقعت في الفترة بين عامي 1936 و1939، وتُعدّ من أطول الثورات الفلسطينية مدّة، وفي هذا الورقة يستعرض الباحث، دور الشيخ عز الدين القسام في إشعال الثورة على مستويين: الأول دور الشيخ عز الدين القسام بصفته، شخصية دعوية في غرس روح الجهاد والمقاومة في عموم طبقات الشعب الفلسطيني، والثاني دور حراكه الثوري و تنظيمه المسمى بـ (الجهادية) في إشعال الثورة، ومن ثم قيادة مجرياتها وأحداثها.

الظروف التي أدت إلى قيام الثورة و ما سبقها من أحداث

بعد إخماد ثورة البراق 1929، وقد كان لتدخل السلطات البريطانية الأثر الأكبر في إخمادها، بدأت تتوجه أنظار القوى الشعبية الفلسطينية إلى عدوّ جديد هو الداعم الرئيس للمشروع الصهيوني والحركة الصهيونية المتمثل في سلطات الاحتلال البريطاني، و بدأت بالفعل الحركات الثورية والحزبية تتجه نحو مقاومة فكرة الانتداب البريطاني².

² محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948 (دار الفلاح، الكويت، 1989)، ص 195 - 196

و كان من أبرز الأحداث التي وقعت في الفترة بين عامي 1929 و 1936، وأسهمت في اندلاع الثورة:

1. ظهور عصابة الكف الأخضر المسلحة، وهي تنظيم عسكري مسلح أسسه المجاهد أحمد طافش،

و كان الهدف منها محاربة الوجود اليهودي في مناطق صفا والشمال، وانضم إليها عدد من المناضلين من الدول المجاورة من شرق الأردن وسوريا، وكان لها عمليات قتل واختطاف بحق السماسرة الذي كانوا يقومون بعمليات بيع الأراضي في طبريا و صفا للحركة الصهيونية، إلا أن هذا التنظيم لم يدم طويلاً، فلم يمتد أكثر من سنة بفعل الحملات العسكرية البريطانية التي أدت إلى مقتل واعتقال جلّ كوادره³.

2. تعيين الجنرال أرثر واكهورب مندوباً سامياً لفلسطين في العام 1930، حيث بدأ هذا المندوب -

الذي ظن العرب في بداية الأمر أنه بعيد عن الضغوط اليهودية- بتوطيد دعائم المشروع الصهيوني، ففي عهده اكتشفت شحنات من السلاح المهربة للعصابات الصهيونية في ميناء حيفا، وارتفعت الهجرة اليهودية في عهده من ما لا يزيد عن 170 ألف يهودي لتصل إلى ما يقارب 234 ألف يهودي، وتم في عهده كذلك الاستيلاء على مستنقعات الحولة في شمالي فلسطين، حيث قامت القوات البريطانية بالقوة بمصادرة 15 ألف دونم من الأراضي الزراعية و تسليمها لليهود⁴.

3. المؤتمر الإسلامي: كان لعقد المؤتمر الإسلامي في القدس دورٌ أساسيٌّ في تنمية الوعي الثوري

والإسلامي تجاه قضية المسجد الأقصى ومخاطر التهويد التي كانت تحيق به، فقد جاء انعقاد هذا

المؤتمر في سياق تحركٍ شعبيٍّ إسلاميٍّ واسع النطاق جراء التهديد الخطير الذي تعرض له المسجد

³ الكيالي، عبد الوهاب، توفي في 1981 م، تاريخ فلسطين الحديث، الطبعة العاشرة (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1990) صفحة 222 إلى 224.

⁴ صلاح أبو بصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، (دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1968) صفحة 172 - 173.

الأقصى على يد الحركة الصهيونية أثناء أحداث ثورة البراق، وكان الشخصان اللذان شكّلا الحراك الفعال الذي أدى إلى عقد هذا المؤتمر مفتى القدس الحاج أمين الحسيني و الزعيم الإسلامي مولانا شوكت علي لولب اللبناني الأصل رحمهما الله تعالى⁵، وحضر هذا المؤتمر 22 مندوبًا من مختلف الأقطار الإسلامية، و كان من ضمنهم شخصيات إسلامية بارزة من أمثال: الشيخ محمد رشيد رضا، والشاعر محمد اقبال وغيرهم، وخرج المؤتمر بعدة قرارات وتوصيات، منها إنشاء جامعة إسلامية، وإنشاء لجان لمنع بيع الأراضي لليهود، إلا أنّ وقوع العديد من الأقطار التي ينتمي إليها المؤتمرين حال دون تطبيق هذه القرارات و التوصيات⁶.

4. إنشاء الأحزاب الوطنية وانتفاضة 1933: تعد فترة ما بين عامي 1933 و 1935 مفصلية في

تكوين وإشعال الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936، فقد أدت سياسة سلطات الانتداب ذات الأذن المفتوحة للحركة الصهيونية والأذن المغلقة عن العرب ومطالبهم إلى تصاعد فكرة التوجه للمواجهة المباشرة مع سلطات الانتداب، إلا أنّ هذه المواجهة بدأت في بداية الأمر تأخذ طابعًا سلميًّا عن طريق إنشاء الأحزاب ورفع العرائض والمذكرات، وكان من أبرز تلك الأحزاب التي أنشئت "حزب الاستقلال" في عام 1932، و"الحزب العربي الفلسطيني" الذي حظي بدعم المفتي الحاج أمين الحسيني، وتشكلت في تلك الفترة، أو وُضعت نواة تشكيل جماعات جهادية مسلحة من أمثال "جماعة الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر الحسيني و"تنظيم الجهادية" بزعامة الشيخ السوري المجاهد عز الدين القسام، إلا أنّ الحدث الأبرز كان في شهر 10 من العام 1933، حيث دعت

⁵ عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، (المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1990) صفحة 231.

⁶ محسن صالح، القضية الفلسطينية وخلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، (مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2012) صفحة 48

القوى الشعبية والحزبية الفلسطينية إلى إضراب في عموم فلسطين بسبب عدم تجاوب سلطات الانتداب مع مطالب الأحزاب، وخرجت المظاهرات في عدة مدن فلسطينية، وكان أبرزها تلك التي خرجت من المسجد الأقصى بقيادة الزعيم الوطني موسى الحسيني الذي تعرض للضرب، وذكر أنه توفي من أثره بعد عدة سنوات، واستخدمت السلطات البريطانية القمع والرصاص الحي، و قُتل خلال هذه الأحداث 35 فلسطينياً و جرح 255 آخرين، و شكلت أحداث هذه الانتفاضة منعطفاً مهماً خلال تاريخ النضال الفلسطيني، حيث بدأ خيار المقاومة المسلحة يلوح في الأفق، وبدأ حلاً أنجع لمقاومة الانتداب البريطاني ودعمه للسياسات التهودية⁷.

دور الشيخ عز الدين القسام و ثورته في إشعال الثورة الفلسطينية الكبرى 1936

أولاً- التعريف بالشيخ عز الدين القسام: هو الشيخ عز الدين عبد القادر مصطفى القسام، ولد في عام 1871، في قرية جبلة في اللاذقية في سوريا. نشأ نشأة إسلامية محافظة على تعاليم الإسلام وأدابه، وغادر إلى الأزهر، ودرس فيه، ثم أكمل دراسته في تركيا ليتعلم العقيدة وأصولها⁸.

كان للشيخ عز الدين القسام جهود دعوية خاصة في قرية جبلة ومدينة اللاذقية لأنه كان يؤمن أن دور الداعية ليس محصوراً في المساجد، بل يجب أن يتفاعل مع قضايا مجتمعه وأمته، ولذلك، وعندما غزا

⁷ عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، صفحة 241 - 243 ، انظر أيضاً: محسن صالح، القضية الفلسطينية و خلفياتها التاريخية و تطوراتها المعاصرة، صفحة 47 - 50

⁸ صبحي ياسين، الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939، (دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967)، صفحة 30

الطليان ليبيا في عام 1911، حشد الشيخ بضعة مئات من المتطوعين للذهاب إلى ليبيا إلى الجهاد، إلا أن الوالي العثماني شكرهم ونصحهم بعدم الذهاب⁹.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية واحتلت القوات الفرنسية منطقة شمالي بلاد الشام التي باتت تعرف بسورية، قاد الشيخ عز الدين القسام حركة الجهاد واستطاع تجنيد العديد من القرويين للجهاد، وقاموا بثورة مسلحة في جبل صهيون وذلك في عام 1919، وكان من أبرز مساعديه الشيخ عمر البيطار، إلا أن السلطات الفرنسية قمعت الثورة وأخمدتها، واضطر الشيخ القسام للمغادرة إلى فلسطين¹⁰.

ثانياً- قدومه إلى فلسطين: قدم القسام إلى فلسطين في الفترة بين شهر 8 و12 من العام 1920¹¹، و ذكر أنه قدم من جسر الشغور إلى بيروت سيراً على الأقدام برفقة ستة من أصحابه، منهم الشيخ محمد حنفي، حيث انتقلوا من هناك إلى صيدا ثم عكا ثم حيفا¹²، وبعد أشهر من قدوم القسام إلى مدينة حيفا عمل في التدريس، فقد درّس في كل من مدرسة الإناث الإسلامية ومدرسة البرج الإسلامية، اللتين تشرف عليهما الجمعية الإسلامية في حيفا، وشاركه في التدريس عدد من الهاربين أو المبعدين من الثوار

⁹ محسن صالح، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 234 - 236.

¹⁰ علي حسين خلف، تجربة الشيخ عز الدين القسام - الجزء الأول (دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1986)، صفحة 17 - 19، و 20 - 23.

¹¹ سميح حمودة، الوعي و الثورة -دراسة في حياة و جهاد الشيخ عز الدين القسام 1882- 1935 (دار الشروق، عمان، 1986)، ص 37.

¹² علي حسين خلف، تجربة الشيخ عز الدين القسام - الجزء الأول، ص 23 - 25.

السوريين¹³، وعمل كذلك إمامًا وخطيبًا لمسجد الاستقلال في حيفا منذ بنائه عام 1925¹⁴، ومأذونًا شرعيًا لدى المحكمة الشرعية في حيفا وذلك في عام 1930¹⁵.

أسهمت طبيعة هذه المهن الثلاث في تسهيل احتكاك الشيخ بعموم الناس في حيفا وشمال فلسطين، وعمل الشيخ من خلال هذا الاحتكاك على تنمية حب الجهاد والاستشهاد والتضحية في نفوس الناس.

إن تواصل الشيخ، لم يكن مقتصرًا على فئة المتدينين من الناس، بل إن طبيعة عمله، مأذونًا شرعيًا، سمحت له بمخالطة فئات أخرى من الناس من خلال مشاركته في أفراحهم ومختلف مناسباتهم الاجتماعية¹⁶.

ثالثًا - القسام والأعمال الدعوية والتطوعية: تبين لنا أن القسام لم يكن مجرد إمام أو خطيب مسجد بل كان صاحب مشروع، فانخرط في أكثر من عمل تطوعي وجمعية خيرية، كجمعية الشبان المسلمين في حيفا، وذلك منذ تأسيسها في عام 1927¹⁷، و قد حافظ الشيخ القسام على إعطاء دروس دعوية أسبوعية مساء كل جمعة في مقر الجمعية، و كان يرتب بالإضافة إلى ذلك زيارات دعوية أسبوعية بصحبة عدد من أعضاء الجمعية إلى القرى المجاورة لمدينة حيفا بهدف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأسهم أيضًا في تأسيس العديد من الفروع في قرى الشمال الفلسطيني، ومنها قرية صفورية التي أخرجت لاحقًا العديد من الكوادر الجهادية في تنظيم القسام العسكري، وعمل الشيخ القسام كذلك على الاتصال بالقيادات

¹³ المرجع ذاته، صفحة 36 - 40.

¹⁴ إحسان نمر، قضية فلسطين في دورها البلدي (جمعية عمال المطابع التعاونية، نابلس، بدون تاريخ)، صفحة 148

¹⁵ سميح حمودة، الوعي و الثورة -دراسة في حياة و جهاد الشيخ عز الدين القسام 1882- 1935، ص 59.

¹⁶ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، ص 250 - 251.

¹⁷ علي حسين خلف، تجربة الشيخ عز الدين القسام - الجزء الأول، صفحة 48 - 49.

الفلسطينية المؤثرة في القرى، والذين صار العديد منهم لاحقاً أعضاء في تنظيم القسام العسكري، منهم عبد الله أبو حمام، وأسهم الشيخ عز الدين القسام في إخراج العديد من شبان القرى المجاورة لحيفا من دائرة الانحراف إلى دائرة العمل الدؤوب الجاد لمجتمعهم ووطنهم¹⁸.

رابعاً- علاقة الشيخ عز الدين القسام بالمفتي أمين الحسيني: يأتي الحديث عن هذه العلاقة لعدة أسباب، منها التشابه في شخصيتهما، من جهة اشتغالهما الديني واهتمامهما بالقضية الفلسطينية، كما كان يجمع بينهما الذكاء العقلي والذكاء الاجتماعي اللذان أهلهما ليكونا شخصيتين قياديتين على مستوى الشعب الفلسطيني كله، بل إن شعبيتهما قد تكون فاقت الكثير من الشخصيات المؤثرة حزبياً.

وأما من جهة الاختلاف في شخصيتهما، فقد أشار الدكتور محسن صالح في كتابه التيار الإسلامي في فلسطين 1917-1948 ودوره في حركة الجهاد، إلى فرق يراه بين شخصية الحاج أمين الحسيني والشيخ عز الدين القسام، فالشيخ القسام كان ينظر للإسلام بنظرة شمولية على نحو أثر في تكوين شخصيته ومنظومته الفكرية، فكان فكره، ومن ثم تنظيمه، قائماً على سحق المشروع الصهيوني والانتداب البريطاني، ومن بعد ذلك بناء الشخصية المسلمة التي تكون المجتمع المسلم، وسعى من خلال هذا الهدف إلى بناء قاعدة إسلامية جهادية واعية.

¹⁸ سميح حمودة، الوعي و الثورة -دراسة في حياة و جهاد الشيخ عز الدين القسام 1882- 1935، صفحة 49.

وأما الحاج أمين الحسيني فبالرغم من وجود الإسلام والطرح الإسلامي مكونًا رئيسًا في طرحه، إلا أنه لم يكن حريصًا على بناء قاعدة إسلامية مجاهدة بقدر ما كان حريصًا على بناء قاعدة تحمل الروح الوطنية النضالية التي تسعى لقتال المستعمر وإفشال المشروع الصهيوني¹⁹.

أما عن طبيعة العلاقة بين الحاج أمين الحسيني و الشيخ عز الدين القسام فقد تضاربت آراء المؤرخين حول وجود علاقة أو عدمه بينهما، مما لا يحتمل المقام تفصيله في هذه الورقة.

خامسًا - جهاد الشيخ عز الدين القسام و تنظيمه الجهادي: إن طبيعة الشيخ عز الدين القسام وشخصيته التي كانت ترفض أن يحصر العالم المسلم دوره في الجانب الدعوي والأخلاقي فحسب، بل أنّ دوره يجب أن يتعدى ليشمل قضايا دينه وأمته.. جعلت الشيخ عز الدين القسام طرفًا في الأحداث التي كانت تجري على أرض فلسطين.

رأى الشيخ القسام أنّ الثورات السابقة التي حدثت على أرض فلسطين لم تكن أكثر من موجات عابرة لا تلبث أن تخدم، وشعر كذلك بضعف أداء الزعامات الفلسطينية الموجودة وعدم كفاءتها لقيادة المعركة مع الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية²⁰، ومن هنا قرر الشيخ عز الدين القسام تأسيس حركة جهادية تستمد منهجها من الإسلام، وترى الجهاد طريقًا وحيدًا لتحرير فلسطين، ومن هنا بدأ القسام ببناء تنظيم سري يمكن عدّه أول تنظيم جهادي عربي إسلامي جاد على أرض فلسطين بعد حلول الانتداب البريطاني²¹.

¹⁹ محسن صالح، التيار الإسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 255 - 256.

²⁰ صبحي ياسين، نظرية العمل لاسترداد فلسطين، (دار المعرفة، القاهرة، 1964)، صفحة 75

²¹ محسن صالح، التيار الإسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 265 - 267.

اختلف المؤرخون والمتخصصون في اسم تنظيم الشيخ عز الدين القسام، فقد اصطلحوا على أن الأسماء التي أطلقت على تنظيم القسام كانت مرتبطة باسم الشيخ القسام، مثل "جماعة القسام" أو "القساميون"، إلا أن الدكتورة بيان نويهض ترى أن الشيخ عز الدين القسام لم يسمّ تنظيمه باسم معين، و إنما سُمي أتباعه ومن كان معه في عمله الجهادي، بعد استشهاده باسم القساميين، ومن كان معه فعلاً في تنظيمه الجهادي يتفاخر ويعتز بهذا الاسم²².

أما عن نشأة التنظيم القسامي وبدئه بالعمل، فقد اتفق أكثر من باحث بأن ولادة التنظيم كانت في عام 1925، دون أن ينفذ أي عمل عسكري إلا بعد أربع سنوات أي في عام 1929²³، واعتمد الشيخ القسام في اختيار عناصر تنظيمه على ذكائه وفراسته في مراقبة المصلين أثناء خطبته الجمعة في جامع الاستقلال في حيفا، فكان يدعو من يتوسم فيه الخير من المصلين إلى زيارته، و من ثم تتوالى الزيارات، ويدعو الشيخ القسام بعد ذلك الشخص هذا إلى الانضمام لمجموعته التي بدأت بخمسة أشخاص ثم زاد العدد ليصل إلى 9²⁴.

²² بيان نويهض الحوت، القيادات و المؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948 (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1981)،، صفحة 317 و 318.

²³ سميح حمودة، الوعي و الثورة -دراسة في حياة و جهاد الشيخ عز الدين القسام 1882- 1935، صفحة 51.

²⁴ رسالة من مجاهد قديم: ذكريات عن القسام، مجلة شؤون فلسطينية، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، العدد السابع، 1972، ص 267 - 269.

أما منهج تنظيم الشيخ عز الدين القسام وفكره، فقد تشابه في أيديولوجيته مع الحركة السنوسية في ليبيا والحركة المهدية في السودان، حيث كانتا تستمدان منهجها من الإسلام، وتؤمنان بالجهاد سبيلاً وحيداً لتحرير البلاد من العدو الكافر الأجنبي²⁵.

حرص الشيخ عز الدين القسام على إطفاء الشرعية الدينية على تنظيمه وجهاده فقام باستفتاء قاضي دمشق الشرعي الشيخ بدر الدين الحسني، فأفتاه بوجوب جهاد الإنجليز واليهود لمنع إقامة وطن لليهود في فلسطين²⁶، وفيما يخص المنهج التربوي لأعضاء تنظيم القسام حرص القسام على تعليم الأعضاء وتحفيظهم آيات الجهاد في القرآن الكريم، وحرص كذلك على تدريسهم قصص الفتوحات الإسلامية المختلفة، بالإضافة إلى الإعداد العسكري الذي كان يتولاه جنرال سابق في الجيش العثماني²⁷.

خامساً- انطلاق عمليات تنظيم القسام: يرى الدكتور محسن صالح أن تنظيم القسام قام بالعديد من العمليات العسكرية التي استهدفت المصالح اليهودية في فلسطين، إلا أن العديد منها عُدَّ من الاعمال الفردية، وأن تلك العمليات جاءت لسببين هما، كسر حاجز الخوف لدى أعضاء التنظيم، وتنفيس الغضب لدى أفراد التنظيم مما كانوا يرونه من بطش السلطات البريطانية وتمادي المستوطنين اليهود²⁸.

من ضمن الشواهد على قيام أعضاء تنظيم القسام بعمليات فردية قبل حلول عام 1935، ما ذكره الشيخ أحمد ذيب الغلابيني، وكان يتولى قسم الأسلحة والمتفجرات في تنظيم القسام، فقد ذكر أنه هو ورفاقه

²⁵ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 270.

²⁶ يوسف رجب الرضيبي، ثورة 1936 في فلسطين -دراسة عسكرية (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1982)، صفحة 37.

²⁷ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 279.

²⁸ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 299.

خططوا لضرب العصابات اليهودية، وبالفعل قام الشيخ أحمد الغلاييني بقتل اثنين من اليهود في عام 1929، واعتقل 33 يوماً على ذمة التحقيق، إلا أنه لم يثبت عليه أي تهمة و أفرج عنه²⁹. وفي الفترة الواقعة بين عام 1931-1932 قامت جماعة القسام بالعديد من العمليات الجريئة³⁰، وكانت أول تلك العمليات عملية مستوطنة ياجور في ليلة 1931/4/5، قرب حيفا، وقتل فيها ثلاثة من اليهود وعاد أفراد المجموعة سالمين، وفي يوم 1931/4/7، أصاب المجاهدون يهودياً بجراح بالقرب من مستوطنة نهلال، وفي 1932/1/16 قتل المجاهدون يوسف بورنيشان في مستوطنة بلفوريا، لكن العملية الجريئة التي أفقدت السلطات البريطانية صوابها هي عملية نهلال الثانية في ليلة 1932/10/22 فقد أخذ صالح أحمد طه ومصطفى علي الأحمد، قنابل صنعها لهما أحمد الغلاييني، وزرعاها في غرفة حراس المستوطنة وفجراها مما أدى إلى مقتل يهوديين وجرح اثنين آخرين³¹، واستمرت العمليات على هذا المنوال حتى حلول عام 1935³².

سادساً- اشتعال ثورة القسام واستشهاده: في شهر 11 من العام 1935 اتخذ الشيخ عز الدين القسام وجماعته قراراً مفصلياً في تاريخ الكفاح والثورة الفلسطينية بشكل عام، فقد أعلن عن انطلاق أول ثورة مسلحة منظمة منذ حلول الانتداب البريطاني على فلسطين في عام 1917، وكان هذا القرار بمثابة إعلان

²⁹عوني جدوع العبيدي، ثورة الشيخ العالم المجاهد عز الدين القسام منهجا و رجلا، (دار النفائس، بيروت، 1993)، صفحة 100

³⁰يوسف رجب الرضيي، ثورة 1936 في فلسطين -دراسة عسكرية، صفحة38.

³¹سميح حمودة، الوعي و الثورة -دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام 1882- 1935، ص 56 - 57.

³²عوني جدوع العبيدي، ثورة الشيخ العالم المجاهد عز الدين القسام منهجا و رجلا، صفحة 40.

رفض، أو اختلاف مع المسار النضالي السابق الذي كان يقوم على المظاهرات والاحتجاجات ورفع العرائض

33.

جاء قرار الشيخ عز الدين نتيجة لعدة أسباب أخرى، منها ارتفاع أعداد المهاجرين اليهود بشكل غير مسبق، فقد هاجر إلى فلسطين في سنة 1935 ما يقارب 61854 يهوديًا، واشتروا 72905 دونومات من الأراضي.

ومن الأحداث التي أوجبت تلك الثورة اكتشاف تهريب 1650 برميلًا من السلاح، وهي كمية كبيرة³⁴. وجد الشيخ عز الدين القسام في هذه الحادثة جواً مناسباً لإعلان ثورته، خاصة وأن تنظيمه قد اكتملت أركانه. لم تكن فكرة القسام الإعلان عن مواجهة عسكرية شاملة، بل عن قيام تنظيم عسكري مسلح ينتهج أسلوب حرب العصابات، وخرج مع القسام رفاقه بعد أن باع بعضهم حلي، وأرسلت بعض القيادات الفلسطينية، مثل الحاج أمين الحسيني، مبالغ من المال دعمًا لتنظيم القسام، وخطب الشيخ عز الدين القسام خطبة أخيرة في مسجد الاستقلال في حيفا أنهاها بقوله "الجهاد يا مسلمون.. الجهاد يا مسلمون"، و خرج من المسجد وجموع المصلين قد أجهشت بالبكاء.

غادر القسام بصحبة 16 من رفاقه إلى قرية يعبد من قرى جنين والتي كانت محطة ثورتهم ورباطهم³⁵. مكث القسام ومجموعته ليلتين في بيت الشيخ سعيد الحسان؛ وهم يقرؤون القرآن و يذكرون الله.

³³ يوسف رجب الرضيي، ثورة 1936 في فلسطين -دراسة عسكرية، صفحة 36 - 37.

³⁴ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 284.

³⁵ سميح حمودة، الوعي و الثورة -دراسة في حياة و جهاد الشيخ عز الدين القسام 1882- 1935، صفحة 70 - 71.

في تلك الفترة كانت سلطات الانتداب وأعاونها تبحث عن الشيخ القسام وجماعته³⁶، وفي صبيحة يوم 20/11/1935 حاصرت قوات الانتداب البريطاني قرية يعبد والمنطقة التي كان فيها الشيخ عز الدين القسام ورفاقه.

بلغت قواته البريطانيون 400 جندي معظمهم من الإنجليز، بينهم قلة من العرب من البوليس العربي³⁷، ورغم عدم التكافؤ في القوة العددية بين الطرفين، وعرض القوات المحاصرة الاستسلام على الشيخ عز الدين القسام، إلا أنه رفض ذلك والتقت إلى رفاقه و قال لهم "موتوا شهداء"³⁸.

أمر القسام رفاقه بأن تكون حركتهم أثناء المعركة متقلبة، وذلك لكي يعيقوا حصار قوات الانتداب لهم³⁹، ولقد التحم الجانبان في معركة استمرت ست ساعات حتى حلول العصر، وقد ذكر بعض الباحثين أن الانجليز خسروا 15 جندياً⁴⁰، وهو رقم كبير بالنسبة لما يراه باحثون ومؤرخون آخرون، إذ يذهب بعضهم إلى أن خسائر الإنجليز لم تتجاوز إلا قتيلاً واحداً وجريحاً واحداً، ويعلّل المؤرخ سميح حمودة ذلك، بأن القسام ورفاقه كانوا يتحاشون إطلاق النار على المجندين العرب مع الإنجليز⁴¹.

³⁶ عبد الستار قاسم، الشيخ المجاهد عز الدين القسام (دار الأمة للتوزيع و النشر، بيروت، 1984)، صفحة 62.

³⁷ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 310

³⁸ عوني جدوع العبيدي، ثورة الشيخ العالم المجاهد عز الدين القسام منهجا و رجلا، صفحة 46.

³⁹ عبد الستار قاسم، الشيخ المجاهد عز الدين القسام، صفحة 65 - 66 .

⁴⁰ صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، (صبحي ياسين، دمشق، 1961)، صفحة 28

⁴¹ سميح حمودة، الوعي و الثورة -دراسة في حياة و جهاد الشيخ عز الدين القسام 1882 -1935، صفحة 81 - 82

استشهد في المعركة الشيخ عز الدين القسام وأحمد ابن الشيخ سعيد الحسان الذي استضاف القسام ورفاقه، وكان عمره 15 سنة، ويوسف الزيباوي ومحمد حنفي المصري وهو من مصر، وجرح نمر السعدي و أسعد المفلح، واعتقل كل من عربي بدوي ومحمد يوسف وأحمد جابر و حسن الباير⁴².

كان لاستشهاد الشيخ عز الدين القسام أثر عميق جدًا لدى الشعب الفلسطيني، تجلى في جنازة الشيخ عز الدين القسام، فقد انطلقت الجماهير بعد الصلاة عليه بمظاهرة مهيبة هتفت ضد الانتداب واليهود، وهاجمت الجماهير الغاضبة مركزَ البوليس البريطاني في حيفا، أما الزعامات السياسية والحزبية الفلسطينية فلم تشارك في جنازة الشيخ عز الدين القسام، واكتفت بإرسال برقيات فاترة لإدارة الانتداب البريطاني⁴³.

ثورة فلسطين الكبرى 1936-1939

تتناول الفقرات التالية ظروف الثورة الفلسطينية الكبرى وأسبابها، ودور جماعة القسام وأثرها في اشتعال هذه الثورة.

ظروف الثورة وأسبابها

مع نهاية عام 1935 وبداية عام 1936، بدأت المشاريع الصهيونية والقمع البريطاني بالتصاعد، وقد أخذت نسب العاطلين عن العمل في الازدياد، مما فاقم من الأزمات الاقتصادية للفلسطينيين، ومع كل ما سبق كان أداء الزعامات والأحزاب العربية لا يتجاوز حدود العرائض التي ترفع إلى المندوب السامي، فبدأت

⁴² عبد الستار قاسم، الشيخ المجاهد عز الدين القسام، صفحة 66 - 67.

⁴³ عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، صفحة 252.

جماهير الشعب الفلسطيني تجنح إلى الجهاد المسلح والثورات الشعبية لمواجهة بطش الانتداب البريطاني وإيقاف المشروع الصهيوني، وشكلت تجربة القسام -بالرغم من إحباطها في بداياتها- نموذجاً جهادياً أصبح يستهوي الجميع من أبناء الشعب الفلسطيني⁴⁴.

اندلاع الثورة وأحداثها

يذكر عدد من المؤرخين والباحثين أن جماعة القسام لم تترك السلاح بعد استشهاد الشيخ عز الدين القسام واعتقال رفاقه، ذلك لأنّ جماعة الشيخ لم تقتصر على مرافقي الشيخ الذين أجهز عليهم في أحراش يعبد، بل إن هناك أعداداً من مناصري الشيخ القسام وأتباعه لم يكشف عنهم، و بدؤوا في تجميع صفوفهم وترتيبها، وكان من الشيخ فرحان السعدي، أحد القساميين، مع مجموعة بفرقتة، أن فجر الشرارة الأولى للثورة في 1936/4/15، بقتل يهوديين وجرح ثالث في عملية فدائية على الطريق الواصل بين قريتي عنبتا ونور شمس بالقرب من مدينة طولكرم، وأحدثت هذه العملية جواً عاماً من التوتر والتشنج⁴⁵.

على إثر عملية عنبتا- نور شمس حدثت توترات في مدينة يافا قتل فيها 16 من اليهود و6 من العرب، وأعلنت السلطات البريطانية في نفس تاريخ الاشتباكات - أي 1936/4/17 - فرض حالة الطوارئ في فلسطين، وفرض حظر التجول⁴⁶.

⁴⁴المرجع ذاته، صفحة 260.

⁴⁵ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 331، انظر أيضاً، صبحي ياسين، في المعركة: حرب العصابات في فلسطين (دار الكاتب العربي للتأليف والنشر، القاهرة، 1986)، صفحة 71.

⁴⁶ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 332.

و على إثر هذه الأحداث شكلت القوى الوطنية في فلسطين لجاناً شعبية لكل مدينة من مدن فلسطين بلغ عددها 22 لجنة، وانضم إلى تلك اللجان الشعبية العرب من مختلف الميول والاتجاهات، تحقيقاً للمصلحة العامة للشعب الفلسطيني⁴⁷، وأعلن عن الإضراب الشامل في فلسطين بتاريخ 1936/4/20، وخلال يومين شمل كل مدن فلسطين⁴⁸.

وُضعت الأحزاب السياسية في فلسطين في موقف محرج، وكذلك الزعامات التقليدية، وذلك لأن اللجان الشعبية، والقساميين، أضحوا في مواجهة مباشرة مع السلطات البريطانية، بينما لم تتخذ تلك الأحزاب والزعامات موقفاً واضحاً بعد من الثورة والإضراب، فتمخضت المباحثات والمشاورات عن تشكيل ما عرف باسم "اللجنة العربية العليا"، وهي جسم تنظيمي ضم كل الأطياف السياسية و الشعبية و الثورية⁴⁹ وأضحى لاحقاً ناطقاً رسمياً باسم الثورة، ولأول مرة منذ الانتداب، ولكونها زعيماً سياسياً، وقائداً في المواجهة المباشرة مع سلطات الانتداب البريطاني⁵⁰، وفي تاريخ 1936/4/25، قررت اللجنة العربية العليا الاستمرار في الإضراب و حددت ثلاثة مطالب لإيقافه:

1. إيقاف الهجرة اليهودية ومنعها منعاً باتاً.
2. منع انتقال الأراضي العربية لليهود.
3. إنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي.

⁴⁷ بيان نويهض الحوت، القيادات و المؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948 (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1981)،، صفحة 334 و 335

⁴⁸ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد1917-1948، صفحة 332.

⁴⁹ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد1917-1948، صفحة 107 و 108.

⁵⁰ بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948، صفحة 336 و337.

وكان التجاوب الشعبي متميزاً وفريداً من كافة فئات الشعب مع الإضراب⁵¹.

و مع بداية شهر 5 من عام 1936، شهدت الثورة تطوراً نوعياً، فقد بدأت المجموعات المسلحة بالتشكل، وبدأت الثورة تأخذ شكلاً جديداً امتاز بعمليات قطع خطوط الهاتف وخطوط القطار الخاصة بسلطات الانتداب، وشهدت العديد من الكمائن المسلحة التي استهدفت قوات الانتداب والعصابات اليهودية، وجرت مهاجمة المستعمرات اليهودية، وبلغ عدد العمليات 50 عملية يومياً، وهو عدد كبير جداً وغير مسبوق من العمليات⁵².

برز من هذه الثورة أسماء قيادات ميدانية جهادية جديدة من أمثال عبدالقادر الحسيني، والشيخ فرحان السعدي وعطية أحمد عوض ومحمد الصالح حمد، والثلاثة الآخرون من القساميين⁵³.

تميزت الثورة بطابع عربي إسلامي بفعل مشاركة العديد من المجاهدين العرب فيها منهم فوزي القاوقجي والشيخ المجاهد محمد الأشمر من سوريا⁵⁴، ووقعت خلال هذه الفترة مجموعة من المعارك أذهلت سلطات الانتداب البريطاني بفعل قوتها وشدة تنظيم الثوار فيها، منها معركة عصيرة الشمالية 1936/8/17، ومعركة وادي عرعة 1936/8/20، ومعركة بلعا 1936/9/3، ومعركة بيت أمرين 1936/9/29⁵⁵.

توقف الإضراب والثورة مؤقتاً وتدخل الحكام العرب

⁵¹ محسن صالح، التيار الإسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 333 و 334.

⁵² محمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين (القاهرة ، دار الكتاب العربي ، 1959)، صفحة 42.

⁵³ يوسف رجب الرضيي، ثورة 1936 في فلسطين -دراسة عسكرية، صفحة 47 - 49.

⁵⁴ محسن صالح، التيار الإسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 337.

⁵⁵ المرجع ذاته، صفحة 337.

حاولت السلطات البريطانية بكافة الوسائل والطرق القمعية إحباط الثورة، وكذلك حاولت بالجهود السياسية، واستخدمت في هذه الجهود ما سمي بوساطات الحكام العرب، ففي 1936/10/2 أصدرت ثلاثة بيانات بنفس النص من كل من غازي الأول ملك العراق والأمير عبدالله الأول أمير إمارة شرق الأردن والملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، تدعو الفلسطينيين "للإخلاء إلى السكنية، حقناً للدماء" والاعتماد على حسن نوايا الحكومة البريطانية،⁵⁶، لتستجيب اللجنة العربية العليا، وتعلن في تاريخ 1936/10/12، وفي قرار مفاجئ وخطوة غير معتمدة توقف أطول إضراب في تاريخ العالم والذي استمر 187 يوماً متتالياً، وليتوقف العمل العسكري مؤقتاً تبعاً لتوقف الإضراب⁵⁷.

تقرير لجنة بيل وعودة اشتعال الثورة

في تاريخ 1936/11/11، جاءت لجنة ملكية خاصة للتحقيق في الأحداث الجارية في فلسطين، وسميت بلجنة بيل نسبة إلى وزير الخارجية البريطاني. رفض العرب في البداية مقابلتها، إلا أنه ونتيجة لتعرض اللجنة العربية العليا لضغوطات شديدة من كل من العراق والأردن والسعودية، قابلت اللجنة العربية العليا لجنة بيل بتاريخ 1937/1/6، وعادت اللجنة إلى بريطانيا بتاريخ 1937/1/17، وقدمت تقريرها للحكومة بتاريخ 1937/5/22، ونشرت الحكومة البريطانية قرار اللجنة بتاريخ 1937/6/7، وقد أوصت اللجنة

⁵⁶ صلاح أبو بصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، صفحة 206 - 209.

⁵⁷ المرجع ذاته، صفحة 209، انظر أيضاً: محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، ص 430.

بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية مع احتفاظ الانتداب بالأماكن المقدسة مع ممر آمن إلى يافا⁵⁸.

بعد وصول خبر قرار لجنة بيل إلى العرب واليهود في فلسطين، سادت أجواء التوتر بين العرب و اليهود، وبدأت سلطات الانتداب البريطاني بسلوك نهج عنيف وقمعي في تعاملها مع الثوار والقيادات الفلسطينية، فقامت بالتنسيق على الحاج أمين الحسيني فالتجأ إلى المسجد الأقصى ليدير الأمور منه، وبدأت السلطات البريطانية بحملة اعتقالات بحق الثوار والقيادات الفلسطينية، وكان من أبرز المجاهدين المعتقلين الشيخ فرحان السعدي القائد العسكري المتميز في القطاع الشمالي للثورة⁵⁹.

وكما فجر القساميون الثورة في بدايتها، فإن القساميين هم من استأنفها، فبعد علم القساميين وقيادتهم الجهادية، من أمثال القائد عطية أحمد عوض والقائد سالم المخزومي، وكذلك القائد محمد صالح الحمد بتوصيات لجنة بيل، بدأت بإعداد العدة لإشعال الثورة من جديد، واختارت بداية قوية، بقيام المجاهدين القساميين الشيخ محمد أبوجعب والشيخ محمد الديراوي الملقب بغزال، باغتيال حاكم منطقة الجليل الشمالي لويس أندروز، والذي كان معروفًا بتعقبه للقساميين وكرهه لهم، وقد اغتيل أثناء خروجه من كنيسة في الناصرة في 1937/9/26⁶⁰.

⁵⁸ <https://unispal.un.org/pdfs/Cmd5479.pdf> ، انظر أيضاً: محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة

الجهاد 1917-1948، صفحة 341.

⁵⁹ كامل محمود خلة، فلسطين و الانتداب البريطاني 1922-1939 (، المنشأة العامة للنشر و الاعلان و التوزيع، طرابلس الغرب 1982)،

صفحة 686 و 687

⁶⁰ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين و أثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 368.

جاء رد السلطات البريطانية قاسياً، فأعدمت الشيخ فرحان السعدي، في 22/11/1937، في سجن عكا، وفي نهار رمضان، وقد أدى تنفيذ هذا الحكم إلى تأجيج الثورة بخلاف توقعات سلطات الانتداب.

عادت الثورة للاشتعال من جديد وتميزت هذه الفترة بإحكام العمليات وإتقانها، وذلك للخبرات المكتسبة والتمرس في القتال والتدريب، فكان العمل العسكري أكثر تنظيماً وتنسيقاً، وشكلت "اللجنة المركزية للجهاد" وكان مقرها دمشق، وتولى إدارتها فعلياً محمد عزة دروزة بتوجيه من المفتي الحاج أمين الحسيني.

برزت في هذه المرحلة قيادات جهادية جديدة من أمثال عارف عبدالرزاق وعبدالرحيم الحاج محمد وعبدالقادر الحسيني ويوسف أبودرة، وكان الأخير من القساميين⁶¹، وتجلت الحاضنة الشعبية للثورة في هذه الفترة، فحين أصدرت السلطات البريطانية تعميماً يقضي بمنع لبس الكوفية على المواطنين العرب، وذلك لتمييز الثوار عن المدنيين لأن الثوار تميزوا بلبسها، فردت الجماهير الفلسطينية على اختلاف طبقاتها وشرائحها وعاداتها الاجتماعية بارتداء الكوفية.

تميزت العمليات العسكرية في هذه الفترة بقوتها، فقد تمكن الثوار في شهر 9 من العام 1938 من السيطرة التامة على مدينة الخليل لعدة ساعات ثم انسحبوا منها، وبتاريخ 9/9/1938 تمكن المجاهدون من السيطرة على مدينة بئر السبع ومن تحرير عدد من المعتقلين في سجنها، كما تمكن مجاهدو منطقة الجليل بقيادة

⁶¹ عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، صفحة 289.

القسامي يوسف أبودرة بتاريخ 1938/10/5 من السيطرة على مدينة طبريا و قتل أكثر من 120 مستوطنًا يهوديًا⁶².

ومن أبرز معارك تلك الفترة معركة عرابة البطوف 1937/12/23 بقيادة القسامي أبوابراهيم الكبير، ومعركة أم الفحم بقيادة القسامي يوسف أبودرة في 1938/1/30، ومعركة جبل الجرمق بقيادة القساميين سعد الخالدي وعبدالله الأصبح بتاريخ 1938/2/6⁶³.

إخماد الثورة ونهايتها

سعت السلطات البريطانية بكل قوتها إلى القضاء على الثورة، فمع حلول 1938/10/31 بلغ مجموع القوات البريطانية 18 كتيبة مشاة في فلسطين، وفوجين من الخيالة، فوج مدرع، وفوج مدفعية، وسريتين مدرعتين، بالإضافة الى قوات البادية الأردنية التي كانت تساند سلطات الانتداب و شاركت في اعتقال قيادات كبيرة من المجاهدين مثل الشيخ المجاهد يوسف أبو درة، و بلغ تعدادها 1170 جنديًا⁶⁴.

لجأت سلطات الانتداب إلى سياسات بطش وتكيل تجاه الأهالي العزل، فقامت بتعديل قانون الطوارئ ليشمل حيازة كافة أنواع الأسلحة مهما كان نوعها أو صلاحيتها، ولتصل الأحكام إلى الإعدام، ولو على مالك رصاصات أو حامل سكين في بعض الحالات، وبلغ عدد من أعدمتهم السلطات البريطانية 146،

⁶² صلاح أبو بصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، صفحة 238 و 239.

⁶³ محسن صالح، التيار الاسلامي و دوره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 379 و 380.

⁶⁴ أكرم زعيتر، يوميات الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939، صفحة 427.

وتجاوز عدد المحكومين 2000، وبلغ عدد المعتقلين بتهمة الثورة 50000 وهدمت 5000 بيت وحانوت

65.

ومن العوامل التي أدت إلى إجهاض الثورة الصراعات الداخلية وانحياز بعض التيارات ضدّ الثورة، فقد استغلت السلطات البريطانية الخلاف الحادّ بين أسرتي الحسيني والنشاشيبي، فبدأ ما يعرف بالتيار النشاشيبي بمهاجمة الثورة وقيادتها ورفض مواقفهم⁶⁶، وشكّلت سلطات الانتداب لاحقاً ما يعرف بفصائل السلام التي تلقت دعماً هائلاً من الوكالة اليهودية، وتزعمها فخري النشاشيبي، وأحدثت فتنة كبيرة في صفوف الثوار، وقادتهم إلى معارك جانبية ألهمتهم عن هدفهم الرئيس⁶⁷.

كما لعب غياب العديد من قيادات الثورة بفعل القتل أو الاعتقال أو الإبعاد دوراً في إخماد الثورة⁶⁸، وشهد نهاية عام 1938م انهياراً اقتصادياً بسبب البطش البريطاني وهدم الحوانيت مما أدى إلى توقف العديد من الأعمال، بالإضافة إلى قلة الدعم والتمويل العربي والإسلامي⁶⁹.

عملت بريطانيا كذلك على تقديم حل سياسي لحسم الثورة، فأعلنت عدولها عن قرار تقسيم فلسطين في 1938/11، ودعت إلى عقد مؤتمر المائدة المستديرة في 1939/2، وحضره ممثلون عن الدول العربية، وأصدرت السلطات البريطانية كتاباً أبيض في 1939/5، تضمن قراراً يقضي بإنشاء دولة مشتركة بين العرب واليهود، وإيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وأحيت تلك القرارات والعوامل السابقة كلها الرغبة لدى

⁶⁵ المرجع ذاته، صفحة 283.

⁶⁶ كامل خلة، فلسطين و الانتداب البريطاني 1922-1939، صفحة 711 و712.

⁶⁷ يوسف رجب الرضيي، ثورة 1936 في فلسطين -دراسة عسكرية، صفحة 99 و100.

⁶⁸ محسن صالح، التيار الاسلامي في فلسطين واثره في حركة الجهاد 1917-1948، صفحة 235.

⁶⁹ بيان نويهض الحوت، القيادات و المؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1949، صفحة 276.

بعض الزعامات السياسية للعودة وخوض غمار النزال السياسي⁷⁰، ومع حلول 1939/9 كانت الثورة الفلسطينية الكبرى قد توقفت فعلياً و بدأت الحرب العالمية الثانية تدق طبولها.

⁷⁰ كامل خلة، فلسطين و الانتداب البريطاني 1922-1939، صفحة 724 و 742